الحلقة (٣٥)

الشرط الخامس: الصدق وهو الصدق مع الله، وذلك بأن يكون العبد صادقا في إيمانه وفي عقيدته، فمتى كان ذلك فإنه سيكون مصدقا لما جاء في كتاب الله وسنة نبيه، فالصدق أساس الأقوال، ومن الصدق أن يصدق في دعوته، وأن يبذل الجهد في طاعة ربه وحفظ حدوده يقول الله تعالى: : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} وقال في وصف الصحابة رضي الله عنهم: {رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} ويقول تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ}وقد ورد اشتراط الصدق في الحديث الصحيح، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله صادقا من قلبه دخل الجنة) كما روى ذلك الإمام أحمد.

وضد الصدق الكذب، فإذا كان العبد كاذبا في إيمانه فإنه لا يعد مؤمنا، ويعد منافقا، وإن نطق بالشهادة بلسانه، وحاله هذه أشد من حال الكافر الذي يظهر كفره، فإن قال الشهادة بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإنها لا تنجيه، ويدخل في عداد المنافقين الذين قال الله عنهم أنهم قالوا {نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ} فرد الله عليهم تلك الدعوى بقوله {وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}، وقال تعالى في شأن هؤلاء {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} يقول تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} والأدلة في ذلك كثيرة، وهي مبسوطة في أوائل سورة البقرة وفي سورة التوبة وغيرها من السور.

إذا قامت أعمال الإنسان واعتقاداته على عقيدة قوية سليمة كان إيمانه قوياً سليما، وبالتالي يكون عمله مقبولا بإذن الله، والعكس بالعكس، ثم إن الناس يتفاوتون في الصدق تفاوتا عظيما.

ومما ينافي الصدق بالشهادة تكذيب ما جاء به الرسول أو تكذيب بعضه، لأن الله أمرنا بطاعة الرسول وقرن ذلك بطاعته عز وجل، قال تعالى {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} وقد يلتبس على بعض الناس الأمر في موضوع اليقين والصدق، شرط اليقين وشرط الصدق، **لذا يقال أن اليقين أعم من التصديق، وعلى ذلك يكون كل موقن مصدقا، وليس كل مصدق موقنا، أي بينهما عموم وخصوص، كما يقول أهل الأصول، أي أن الموقن قد مر بمرحلة التصديق ثم انتقل إلى الإيقان.**

الشرط السادس: الإخلاص **وهو تصفية الإنسان عمله بصالح النية من جميع شوائب الشرك، وذلك بأن تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصة لله عز وجل وابتغاء مرضاته، ليس فيها شائبة رياء أو سمعة أو قصد نفع أو غرض شخصي أو شهوة ظاهرة أو خفية مما يتعبد به لله تعالى، أو يندفع للعمل لمحبة شخص أو مذهب أو مبدأ أو حزب يستسلم له بغير هدى من الله،** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) لا تقبل

منه هذه الهجرة، كما حدث من مهاجر أم قيس، هاجر إلى امرأة كي يتزوجها، لا إلى الله ورسوله، فكانت هجرته إلى ما هاجر إليه ، والإخلاص كذلك مهم في الدعوة إلى الله وفي جميع الأعمال، فلا يجعل الإنسان عمله من أعمال القربي وسيلة لجمع المال أو الوصول إلى السلطان ويهدم بذلك عمله، بل يكون بذلك مبتغيا لوجه الله تعالى، ولا يلتفت بقلبه لأحد من الخلق يريد منه جزاء أو شكورا.

والقرآن والسنة حافلان بذكر الإخلاص والحث عليه والتحذير من ضده، من ذلك قوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} وقوله: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، وقوله تعالى {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}.وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) وفي الصحيحين من حديث عتبان (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).

ويدخل في ذلك الإخلاص في إتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بالاقتصار على سنته وتحكيمه، وترك البدع والمخالفات ونبذ ما يخالف شرعه من التحاكم إلى ما وضعه البشر من عادات أو قوانين، فإن رضيها أو حكم بها لم يكن من المخلصين.

وضد الإخلاص الشرك والرياء وابتغاء غير وجه الله، فإن فقد العبد أصل الإخلاص فإن الشهادة لا تنفعه أبدا، يقول الله تعالى {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} فلا ينفعه حينئذٍ أي عمل يعمله لأنه فقد الأصل، والله سبحانه يقول {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تبارك وتعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)حديث رواه مسلم ، وإن فُقد الإخلاص في عمل من الأعمال ذهب أجر ذلك العمل، وبالجملة فالإخلاص هو تصفية العمل من كل شوب بحيث لا يمازجه ما يشوبه من شوائب الشرك شيء، أو إرادات النفس إما طلب التزين في قلوب الخلق وإما طلب مدحهم والهرب من ذمهم أو طلب تعظيمهم أو طلب أموالهم أو طلب محبتهم أو خدمتهم إلى غير ذلك من الشوائب التي عقد متفرقها إرادة ماسوى الله بالعمل، أو إذن مدار الإخلاص على أن يكون الباعث على العمل أولاً امتثال أمر الله، ولا حرج بعد هذا على من يطمح إلى شيء آخر بعد ذلك كالفوز بنعيم الآخرة أو النجاة من عذاب أليم، أو ما يتبع ذلك من لوازم لا تدخل قلب صاحبها، بل لا يذهب بالإخلاص بعد ابتغاء وجه الله أن يخطر في بال العبد أن للعمل الصالح آثاراً في هذه الحياة، كطمأنينة النفس وأمنها من المخاوف، وصيانتها من مواقف الهوان، إلى غير هذا من الخيرات التي تعقب العمل الصالح، ويزداد به إقبال النفوس على الطاعات قوةٌ على قوة.

الشرط السابع: المحبة أي المحبة لهذه الكلمة" لا إله إلا الله" ولما دلت عليه واقتضته، فيحب الله ورسوله، ويقدم محبتهما على كل محبة، ويقوم بشروط المحبة ولوازمها، فيحب الله محبة مقرونة

بالإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء، ويحب ما يحبه الله من الأمكنة، كمكة والمدينة والمساجد عموماً ، والأزمنة كرمضان وعشر ذي الحجة وغيرها، وما يحبه من الأشخاص كالرسل والملائكة والصديقين والصالحين، وما يحبه من الأفعال كالصلاة والزكاة والذكر، ومن المحبة أيضا تقديم محبوبات الله على محبوبات النفس وشهواتها، وذلك لأن النار حفت بالشهوات والجنة حفت بالمكارة، ومن لوازم تلك المحبة أن يكره ما يكرهه الله ورسوله، فيكره الكفار ويبغضهم ويعاديهم، ويكره الكفر والفسوق والعصيان.

يقول تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} ويقول الباري جل وعلا {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} ويقول تعالى {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) الحديث رواه البخاري.

وعلامة هذه المحبة الانقياد لشرع الله وإتباع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ}.

وضد المحبة الكراهية لهذه الكلمة ولما دلت عليه وما اقتضته، أو محبة غير الله مع الله يقول تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} ويقول تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} فهؤلاء الذين بيّن الله شأنهم في هذه الآية يحبون الله، ولكنهم يحبون معه غيره مثل محبته على أحد التفسيرين، ومع ذلك سماهم الله ظالمين بدليل قوله تعالى في الآية التالية: : {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ}،فإذا كان هذا هو شأن من أحب الله وأحب معه غير مثل حبه؟! فكيف بمن أحب غير الله أكثر من حب الله؟! أو لم يحب الله؟! وكيف بمن يحب غير الله وكره الله وحاربه تعالى الله عن هذا؟

ومما ينافي المحبة بغض الرسول أو بغض ما جاء به الرسول أو بغض بعض ما جاء به الرسول وكذلك مما ينافي المحبة موالاة أعداء الله من اليهود والنصارى وسائر الكفار، ومما ينافي المحبة معادة أولياء الله المؤمنين، ومما ينافي كمالها المعاصي والذنوب عموما.

❁ توحيد الربوبية ❁

فهذا مبحث من مباحث العقيدة، وذلك لأنه متعلق بأصل الأصول و بأوجب الواجبات وهو الإيمان

بالله عز وجل، فمما يتضمنه الإيمان بالله: الإيمان بربوبيته وتفرده بالخلق والرزق والتدبير.

ومما يدل على أهميته ما يثمره من الثمرات العظيمة؛ فالعلم به والإيمان بمقتضاه يثمر إجلال الرب وتعظيمه ورجاءه ومحبته، إلى غير ذلك، فلا ينبغي التقليل من شأنه ولاترك الحديث عنه، **كما لا ينبغي أن يجعل توحيد الربوبية هو الغاية من التوحيد، كما هو شأن أهل الكلام، بل إن الغاية من التوحيد هو توحيد الألوهية.**

تعريف توحيد الربوبية: هو الإقرار الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق للعالم المحيي المميت الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سمي، ولا منازع له بشيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه و صفاته.

وكما ذكرنا في المرة الماضية: هو توحيد الله بأفعاله.

هذا النوع من التوحيد كما مر معنا أن **له أسماء**:

فمن أسمائه توحيد الربوبية وهو الأشهر، وأيضا من أسمائه التوحيد العلمي، والتوحيد الخبري، وتوحيد المعرفة والإثبات، ويدخل معه توحيد الأسماء والصفات، والتوحيد الاعتقادي.

كلمة الربوبية نسبة إلى الرب، وكلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معاني قال ابن منظور: **الرب** يطلق في اللغة على **المالك والسيد والمدبر والمربي والقيّم والمنعم**، وقال: **ولا يطلق غير مضاف إلا على الله**، وقد جاء في الشعر مطلقا على غير الله، وليس بالكثير ولم يذكر في غير الشعر.

قال: ورب كل شيء مالكه ومستحقه وقيل: صاحبه ويقال: فلان رب هذا الشيء أي: ملكه له، وكل من ملك شيئا فهو ربه، يقال رب الدابة ورب الدار و فلان رب البيت.

أما الرب من حيث من أنه اسم من أسماء الله معناه: من له الخلق والأمر والمُلك يقول الله تعالى {**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**} ويقول تعالى {**ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ**}يقول ابن المنذر في اللسان "**الرب هو الله عز وجل، هو رب كل شيء أي: مالكه وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك**" هذا ما يتعلق بكلمة الرب وتوحيد الربوبية.